الحركة القومية العربية، وهي بالاضافة الى ذلك، تستند الى قاعدة أساسية من وحدة الأمة العربية: وحدة جغرافية وتاريخية ولغوية وحضارية. ويكرر د. الرزاز تساؤله: إذاً، لماذا لم تنجز الوحدة العربية على الرغم من كل ذلك. ثم يبدأ بعرض مجموعة من الاجابات التي يرد عليها جميعاً بالسلب. فيقول: «هل ضعف الايمان بالوحدة هو العقبة؟» (د. الرزاز، ص١٣٦). ويرد على هذه الفرضية نافياً، بعد أن يفندها تفنيداً منطقياً، مسلحاً بالحجج والبراهين. ثم ينتقل ليفترض فرضية ثانية، تمنع الوحدة، ليسارع فينقضها وينفيها. فيقول: «هل الاستعمار هو العقبة؟» (د. الرزاز، ص١٤٠) إلا أنه لا يجد في الاستعمار عقبة لا يمكن تجاوزها. فيتساءل مرة أخرى على طريقته السابقة: «هل البورجوازية هي العقبة؟» (د. الرزاز، ص١٤١) ويجيب على سؤاله أيضاً بالنفي، فرغم أنه يرى في البورجوازية عائقاً ما ، إلا أنها ليست العقبة الكأداء، مثلها في ذلك مثل الاستعمار. إذاً لماذا لم تتحقق الوحدة... يعود د. الرزاز ليتساءل. فيقول تحت عنوان فرعي «بين منطقين» (د. الرزاز، ص ١٤٦): «... ان القول، مثلاً، بأن اجتماع وحدة الأرض إلى وحدة اللغة إلى وحدة التاريخ لابد أن تنتج وحدة قومية، وأن الوحدة السياسية نتيجة حتمية للوحدة القومية، قول يقوم على أسلوب المنطق الارسطي الثابت، ويفتقر الى الاساس الحقيقي لاي تغيير في الدنيا، وهو «القوة الفاعلة» في هذا التغيير... ان الايمان الذهني في الوحدة ليس، في ذاته، قوة تجعل تحقق هذا الايمان حتمياً في الواقع» (د. الرزاز، ص١٤٧). ثم ينتقل إلى الحديث عن الظروف الموضوعية والقوى الفاعلة لتحقيق الوحدة، فيعتبر أن تحقيقها سوف يظل أمنية، إذا لم تتوفر هذه الظروف وهذه القوى.

إذاً، ما هو السبيل الى الوحدة، السبيل كما يراه د. منيف الرزاز هو النضال الموحد. ويشرك د. منيف الرزاز ميشيل عفلق معه في هذه الحجة، التي قد نعتبرها رداً على مقولة فيصل حوراني، فيستشهد الرزاز بعفلق، مورداً فقرة يتحدث فيها عفلق عن أهمية «وحدة طريق نضال الوحدة» على أساس أن الوحدة العربية هي، قبل كل شيء، نضال ووحدة في النضال، كما يرى عفلق. فالنضال موحد مشترك، بقوى عربية تتجاوز حدود الاقطار، وتمثل الوحدة العربية فعلاً، في تركيبها ونضالها. ويعود د. الرزاز ليستشهد بعفلق، الذي يقول ان وحدة المغرب لا يمكن أن تتحقق إلا في وحدة نضاله. وأي تجزئة لنضال المغرب ستمنع في المستقبل التوحيد السياسي والاقتصادي لأقطاره.

فالوحدة في نظر هذا التيار تحديداً، لا تتم، لا في وقت النضال ضد المستعمر ولا بعد الاستقلال؛ إذ ان اداة النضال الموحدة تتخذ هنا طابعاً حاسماً، والظرف الموضوعي المشترط يضفي على هذا النضال الموحد طابع مواجهة الاستعمار المباشر.

ود. الرزاز يشير، في هذا المجال، إلى أن وحدة النضال العربي قد ولدت بوادرها في ثورة الجزائر، وفي العدوان الثلاثي على مصر، وفي ثورة عدن. إلا أنه يستدرك قائلاً، ان هذه البوادر انما لمست وحدة النضال لمساً، ولم تتجاوز هذا اللمس الخفيف الى تكوين وحدة القوى العربية التحررية. إلا ان د. الرزاز يجعل لهذا «اللمس الخفيف»، و«التشامي في البساطة» كما يصفه، فعلاً سحرياً؛ إذ أنه «لعل في الوحدة، وكان ذا أثر فعّال في اقامة الوحدة السورية – المصرية» (د. الرزاز، ص١٥٢). أما كيف ولماذا، وما هي علاقة الثورة الجزائرية والعدنية والعدوان الثلاثي، بالوحدة السورية – المصرية، فلا يهمل د. منيف الرزاز بايلائها اهتمامه، مكتفياً بأن يقول ان «حدود الدول في العالم الثالث، لم ترسمها اللغة والتاريخ ولا الأرض، بقدر ما رسمتها معارك النضال التي خاضتها شعوب هذه الدول، وطبيعة تركيب القوى المناضلة التي خاضتها شعوب هذه الدول» (د. الرزاز، ص١٥٢).

فما يسميه فيصل حوراني بالعوامل العديدة والمتشابكة، سواء كانت بشرية وسياسية واقتصادية واجتماعية ومحلية ودولية، أو تحقيق الغلبة للفئات والطبقات والقوى السياسية التي لا يضر قيام الوحدة بمصالحها... كل هذا وارد وبديهي عند د. منيف الرزاز. إلا أن كل هذه العوامل تعتبر عوامل استاتيكية، مقارنة بعامل وحدة النضال سواء في نظر د. الرزاز أو ميشيل عفلق. وممثلو هذا التيار بأدبياتهم هذه، إنما يردّون بالتحديد على «البرهان» الذي اتخذه فيصل حوراني ليثبت أن تحقيق المطالب الوطنية للشعب العربي